بسم الله الرحمن الرحيم

State of Palestine

DAR AL-IFTA' AL-FALASTEENIYYA

دولة فلسطين

دار الإفتاء الفلسطينية

بحث مقدم من

الشيخ/ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

خطيب المسجد الأقصى المبارك

بعنوان

"المسجد الأقصى قديماً وحديثاً"

إلى

"المؤتمر العالمي لأئمة المساجد"
الجمهورية الإندونيسية

28 محرم – 3 صفر 1435هـ / 2-6 كانون الأول 2013م

القدس | Jerusalem هاتف / Tel: +9722 / 6260042 فاكس / Fax: +9722 | 6262495 ص.ب | P.O.Box 20517

الرام / AL-Ram هاتف / Tel: +9702 / 2348602 -1 تلفاكس:+9702/2340085 فاكس/ Fax: +9702 / 2348603 ص.ب | P.O.Box 1862

WWW.DARIFTA.ORG

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله المنعم على عباده المؤمنين بالصبر والثبات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المجاهدين وقدوة المرابطين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

فالأرض التي باركها الله، أرض الإسراء والمعراج، تتعرض لمخاطر التدنيس، وطمس الهوية، وعدوان متواصل، يستهدف بشرها، وشجرها، وثمرها، وحجرها، وهي تستصرخ مستنجدة مستغيثة، ولكن لا مغيث لها من أصحاب النفوذ البشري، الذين بات دعمهم يقتصر على مواقف هزيلة، ومؤازرة لا ترقى إلى مستوى الخطر الذي يتهددها، فهي تتعرض لخطر لا يستطيع أحد التقليل من حجمه وآثاره، فما حدث خطير، وما يخطط للتنفيذ في الأيام والمراحل القادمة أخطر وأصعب وأقسى، فالحرب مستعرة لكنها غير متكافئة على القدس، فالمحتل الغاصب يعتبرها عاصمته، ويمارس تبعات ذلك على أرض الواقع، ونحن نعتبرها قدسنا، لكنها محتلة بأيدي غيرنا، والتاريخ بسجله ووقائعه ووثائقه يؤيد حقنا فيها، وتبقى المسألة في نطاق الصراع بين طرف ينفذ مرحلياً ما شاء من الأفعال، ويصدر ما شاء من القرارات، وصاحب الحق مغلوب على أمره، وما يجري على أرض الواقع يأتي بخلاف أمانيه ورغباته.

وجزء مهم ورئيس من الحرب على القدس يخص المسجد الأقصى المبارك، الذي ترتكز حوله بؤرة الصراع، وقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن تهديده، وأصحاب هذا الحديث قسمان، قسم تمثله الجماعات الإسرائيلية المتطرفة التي تخطط لهدم المسجد الأقصى المبارك، وبناء الهيكل مكانه، أو استباحة حرماته باقتطاع أجزاء منه؛ لتكون نواة لكنيس يهودي يبنى في ربوعه، والقسم الثاني يمثله المسلمون الذين يتخوفون من تنفيذ التهديدات الإسرائيلية، فينبهون العالم– وبخاصة المسلمين في أنحاء الدنيا– إلى ما يجري للمسجد الأقصى من استهداف ومحاولات تدنيس، ويبدو أن الأفعال والخطط التي تتماشى مع التهديد تجري على قدم وساق، وفق برامج معدة بعناية لهذه الغاية.

إن هذه الممارسات كفيلة أن تضع الأمة أمام مسؤولياتها؛ لتدرك القدس وفلسطين قبل فوات الأوان، ولات ساعة مندم، فلنعمل لكي تكون القدس في ضمير العالم مدينة الحق والتاريخ والسلام.

القدس في عقيدة المسلمين

إنّ القدس على وجه الخصوص، وقضية فلسطين على وجه العموم، قضية عربية إسلامية تقع في وجدان كل عربي ومسلم يشعر بانتمائه إلى هذه الأمة، وينبض قلبه بالإيمان الصادق، ويجيش صدره بعزة الإسلام، ذلك أن فلسطين تحوي القدس، التي لها مكانتها الدينية المرموقة التي اتفق عليها المسلمون بطوائفهم ومذاهبهم وتوجهاتهم جميعها.

فالقدس هي القبلة الأولى التي توجه إليها الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه منذ أن فرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، وظلت القدس قبلة المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ...)[1]، حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

كما أنّ القدس هي منتهى الإسراء، ومنطلق المعراج إلى السماء، وفيها أمّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، الأنبياء في المسجد الأقصى[3]، وفي ذلك دليل على ختم الإسلام للنبوات، وشموله للرسالات السماوية السابقة، وبدء الإسراء من المسجد الحرام وانتهاؤه بالمسجد الأقصى فيه ربط للمسجدين، لن يزول مهما فعل الاحتلال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4] ، ثم إن المسجد الأقصى هو ثالث المسجدين: الأول هو المسجد الحرام في مكة، والثاني هو المسجد النبوي في المدينة، وثالثهما هو المسجد الأقصى في القدس، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[5].

والقدس قبل كل هذا أرض الأنبياء، ودار المرسلين، ومأوى الصالحين، أرض المحشر والمنشر، مُهَاجَر الخليل إبراهيم، وديار أيوب، ومحراب داود، وعجائب سليمان، ومهد عيسى، عليهم جميعاً السلام... أرض البركة التي وصفها الله بأنها مباركة في خمسة مواضع في القرآن، وقدّسها في موضع آخر[6].

---

1 – صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان.

2 – البقرة: 150.

3 – انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

4 – الإسراء:1.

5 – صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

6 – انظر: القدس قضية كل مسلم د. القرضاوي، ص 11.

القدس في القرآن الكريم:

1. قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [7].

2. قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [8].

3. قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [9].

4. قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [10] .

5. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [11].

6. قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [12].

إن القدس في الاعتقاد الإسلامي سامية المكانة، عالية المنزلة، عزيزة الحمى... الأمر الذي يستوجب على المسلمين . جميعاً . الغيرة عليها من أن يدنسها الأعداء، والذود عنها من المغتصبين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحريرها، ورد المعتدين عنها.

القدس في السنة النبوية:

لقد اتضح لنا من خلال الآيات السابقة عناية القرآن الكريم بالقدس وما حولها، وقد حظيت هذه الأرض بالتكريم في السنة النبوية، وفيما يأتي بعض أحاديث رسول الله ﷺ في هذا السياق:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله تعالى عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوِدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا، أَعْطَاهُ اثْنَيْنِ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ الثَّالِثَةُ، فَسَأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ

---

7 – الإسراء:1.

8 – الأنبياء: 71.

9 – الأعراف: 137.

10 – الأنبياء: 81.

11 – سبأ: 18.

12 – المائدة: 21.

مِنْ بَيْنِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)[13].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)[14].

عن أَبَي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ)[15].

---

13 – مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

14 – مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن وهيب، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

15 – صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً}.

القدس عبر التاريخ

لمحة تاريخية:

عروبة القدس الشريف تتجاوز ذلك الحيز الزماني لدعوة الإسلام في صدر الدولة الإسلامية، إنها تسبقها حقباً ضاربة في القدم، منذ أن ظهر فيها العرب عرقاً من الأعراق البشرية، ولذا؛ فإنه من المسلّمات التاريخية بأن شهادة ميلاد القدس الشريف تؤكد أنها عربية الأصل في النشأة والتكوين، إسلامية الهوية في الحضارة والإنسانية.

ولقد صمدت هذه المدينة المقدسة أمام الهجمات المتكررة من الأعداء، فقد حوصرت مراراً، ودمرت تكراراً، وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ، بيد أنها على الرغم مما أصابها ظلت قائمة، وظل اسمها شامخاً في طليعة المدن.

إن المغتصبين يزعمون اليوم أن القدس مدينتهم الخالدة، ونحن بدورنا نتساءل: أين هي القدس التي يبحثون عنها؟ ... إنها أورشليم التي هدمها الرومان مرتين، وأزالوها من الوجود تماماً؛ أورشليم تلك اندثرت بسببهم، ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة، ولم يأخذوها من اليهود، بل من الرومان أعداء اليهود، وحافظوا على كنائسها ومعابدها، وفي أثناء الحكم الإسلامي وحده شرع اليهود يعودون إليها، ويقيمون فيها المعابد وفق الشروط التي وضعها الإسلام لأهل الذمة.[16]

ولم تعرف المدينة المقدسة سلماً ولا أمناً، إلا في العهد الإسلامي، حيث عاش المسلمون والمسيحيون واليهود في أمن وسلام.

أسماء القدس وسكانها الأصليون

عرفت مدينة القدس بأسماء كثيرة، أقدمها اسم: "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين الذين يعتبرون أول من بنى القدس، وهم بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا في جنوب شبه الجزيرة العربية ثم رحلوا إلى الشمال مع القبائل الكنعانية، واستوطنوا في هذه المنطقة، وكان ملكهم: "ملكي صادق" قد اختط المدينة وبناها، وفي سجلات الفراعنة تسمى: "يابيثي"، وعرفها الكنعانيون باسم: "أورسالم"، نسبة إلى إله السلام عندهم، وللأسف؛ فإن المدينة لم تر إلا قليلاً من السلام عبر تاريخها الطويل، وقد اشتقت منها العبرية: "أورشليم" التي تأثرت باللغة العربية الكنعانية والمصرية القديمة والآرامية والإغريقية، وكذلك الهيروغليفية التي كانت أول لغة كتبت بها التوراة [17]، حيث اشتقت منها أسماء أخرى كثيرة، و"أور" هي مدينة في بابل وهي مسقط رأس إبراهيم، عليه السلام، أما "شليم" فاسم لواحد من عشرات الآلهة الوثنية التي كانت تعبد في المنطقة، ولا علاقة لهذا الاسم بكلمة "شالوم" العبرية التي تعني سلاماً، وإن كان اليهود نسبوا الاسم إلى لغتهم لإثبات قدم علاقتهم بالمدينة المقدسة. وقد ظهر اسم (أورسالم) لأول مرة في التاريخ عام 2500 ق.م، على تماثيل مصرية صغيرة. ووجد هذا الاسم أيضاً

---

16 –انظر: الحق العربي الفلسطيني في القدس بين العهد القديم والقرآن الكريم، د. سعيد أبو صافي، مقال عن موقع القدس، http://www.alquds-online.org.

17 – انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم: أسفار (التكوين– الخروج– التثنية– يشوع – القضاة – صمويل الأول– عزرا)، التوراة الهيورغليفية، د. فؤاد حسنين علي، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ص87.

على ألواح أثرية أخرى، اكتشفت مؤخراً في سوريا. أما اسم (يبوس) فقد وجد في رسالة آخر ملوك الكنعانيين (عبد حيبا) إلى فرعون مصر (تحتمس الأول)، عام 1550 ق.م، يطلب فيها الأول من الأخير عونه وحمايته من بعض أعدائه، وكان خاضعاً له. ومن أسماء هذه المدينة أيضاً: "مدينة داود "، وأسماها اليونان: "بروساليم"، أما الرومان فأسموها: "هيروساليما"، ومن هذا الاسم اشتقت أوروبا اسم: "جيروساليم" الذي ورد في الكتابات الفرنسية في القرن الثاني عشر الميلادي، وفي سنة 135م سماها الإمبراطور" إيليوس هادريانوس": "إيليا كابيتولينا" وهذا الاسم مأخوذ نصفه من اسم الإمبراطور الأول (إيليوس)، ونصفها الثاني (كابيتولينا) مأخوذ من اسم الإله الوثني الروماني (جوبتر كابيتولينوس)، وظلت تعرف باسم "إيليا" حتى أوائل الفتح الإسلامي عام 15 هـ 635م، ومن أسمائها كذلك: "الأرض المباركة، وبيت المقدس، والأرض المقدسة، والزيتون، والمسجد الأقصى، والقدس..."[18].

سكنها الكنعانيون وأحفادهم الفلسطينيون منذ أقدم العصور، حيث أقاموا فيها، وأنشأوا حضارة مزدهرة. وقد كانت فلسطين قبل أن يكون هناك ذكر في التاريخ لليهود لعشرات القرون مأهولة بشعوب عربية تنحدر من العمالقة، ومن الشعب الكنعاني، فكان العماليق يسكنون في الجنوب الفلسطيني، ومن مدنهم: غزة والخليل وبئر السبع ورحبوت، وكان الكنعانيون يسكنون الساحل من غزة إلى شمال عكا ونابلس وجنين وطولكرم وبيسان[19].

وإلى جانب الكنعانيين يستقر الفلسطينيون في هذه المنطقة، حيث ورثوا الحضارة الإيجينية في سواحل إيجين وفي جزيرة كريت غرب البحر الأبيض المتوسط، وإن لغتهم سامية وديانتهم كذلك، وقد سكنوا مدن: أشدود وغزة وعسقلان وجت[20]، وقد كان الفلسطينيون جزءاً من الكنعانيين هاجروا إلى كريت، ثم عادوا إلى فلسطين ثانية؛ ليدافعوا عن وطنهم الأم ضد هجوم الفراعنة، فاستقروا في بلاد أجدادهم الكنعانيين، ولم تكن عودتهم عودة الغازين كما يصوره اليهود وبعض مؤرخي الغرب؛ إذ لو كان الفلسطينيون غزاة غرباء عن الأرض لجلوا عنها تحت ضغط انتصارات الفراعنة، بل صمدوا مع إخوانهم الكنعانيين، وكانت مدنهم حصينة، وذات هيبة خاصة بهم[21]، وهذه المدن الحصينة بقيت بعيدة عن اليهود، ولم يستطيعوا دخولها أثناء مجيئهم إلى أرض كنعان، ويظهر لنا أن شدة الفلسطينيين واستماتتهم في الدفاع عن أرضهم ضد الغزوات الأجنبية أكسب المنطقة كلها اسم فلسطين.

---

18 – فتوح البلدان: البلاذري: ص 144، إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى: السيوطي، 1/ 93–95، تاريخ الإسلام: الذهبي، ص162–163، بيت المقدس، ابن الجوزي، ص 38–39، القدس ومعاركنا الكبرى: محمد صبيح: ص157–158، فلسطين التاريخ المصور: د. طارق سويدان، ص25 .

19 – مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً: محمد بديع شريف، ص27، عروبة القدس في التاريخ القديم: د. محمد خليفة حسن: ص9 ، ص53، ص8. هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، ص157، 174.

20 – تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية: الكسندر شارف: ص158.

21 – تاريخ فلسطين والأردن: علي نصوح الطاهر، ص 127 .

لقد ورد اسم اليبوسيين العرب أهلاً للقدس في مواضع عديدة من العهد القديم،[22] وهم ينسبون إلى "اليبوسي بن كنعان" وقد رد المؤرخون اليبوسيين إلى أصول عربية كنعانية، وأرض كنعان في اللغة العربية هي الأرض المنخفضة[23]، وأنهم بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا في جنوب شبه الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية[24].

وقد ظلت المملكة اليبوسية متماسكة حتى نهاية القرن الثامن عشر ق.م وبداية القرن السابع عشر قبل الميلاد، حيث تزعزعت مملكتهم إبان ضربات الهكسوس وغزوهم لفلسطين، إلا أنهم ظلوا صامدين في بلدهم، ولم يخرجوا منها، وظلت القدس تحت حكم أهلها اليبوسيين حتى دخول بني إسرائيل إلى أرض فلسطين بعد نزوحهم عن مصر، وقد ظل اليبوسيون في رباط دفاعاً عن المدينة في وجه بني إسرائيل، وخاصة سبط بنيامين وبني يهوذا إلى أن تولى الملك داود، عليه السلام، خلفاً لشاؤل، وقد ظلت حقوق اليبوسيين محفوظة حتى نهاية عهده، وقد حدث تراجع لليبوسيين في المدينة بعد سليمان، عليه السلام[25].

اليهود والقدس

يرى معظم المؤرخين أن بداية تاريخ اليهود يؤرخ بخروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى، عليه السلام، فيما بين الأعوام 1240 – 1230 ق.م،[26] واستقر بهم في سيناء يريد الأرض المقدسة، وتجدر الإشارة إلى أن موسى، عليه السلام، لم يدخل القدس، وعلى جبل الطور كلم الله تعالى، وحينما حاول الدخول ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة عصوا أمره، ورفضوا خائفين مذعورين، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك من كلام موسى موجهاً إلى اليهود: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾[27].

وعندما عبر بنو إسرائيل سيناء وصلوا إلى كنعان، ومعهم الخيمة – هيكلهم الأول . وقد قاومهم الكنعانيون مقاومة شديدة، وبقيت هذه الخيمة إلى عهد داود، عليه السلام، فلما أتم سليمان، عليه السلام، بناء الهيكل نقل الخيمة مع أثاثها كله إليه[28].

ارتحل اليهود إلى فلسطين حيث خرج بهم من التيه يوشع بن نون، عليه السلام، ووقع الصدام بينهم وبين الفلسطينيين الكنعانيين أصحاب هذه الأرض يساندهم أهل صيدا وسكان جبل لبنان إلى مدخل حماة، حيث ورد

---

22 – سفر تكوين: 18/15، سفر خروج: 8/3 ، 17–18، 2/33، سفر يشوع: 11/3 ، 2/9–3، 10-12/8، سفر قضاة: 8/1، 21/15.

23 – انظر لسان العرب: مادة كنع.

24 – القدس تاريخياً وجغرافياً: د. فاروق محمد عز الدين، ص 16، القدس عربية إسلامية: د. سيد فرج راشد، ص 31.

25 – اليبوسيون في القدس القديمة: عادل سيد مصطفى، ص 230–231.

26 – القدس عربية إسلامية: د. سيد فرج راشد، ص 31.

27 – المائدة: 21–22.

28 – الهيكل الثالث في الحرم القدسي: بيسان عدوان، ص 89، ص 92، وانظر: اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، م4، ج1، الباب الأول، مدخل: الهيكل الأول والهيكل الثاني..

أثناء ذلك في رسائل تل العمارنة التي تعود إلى سنة 1450 ق.م اسم "أدوني صادق "ملك أورشليم اليبوسي الذي اتحد مع ملوك حبرون ولخيش وعجلون إلى ساحل البحر إلى لبنان، وأجمع هؤلاء معاً على محاربة بني إسرائيل، ومنذ ذلك الحين أخذ اليهود يتلقون ضربات أهل البلاد، ولم يعد من السهولة لهم وضع أقدامهم فيها عن طريق الحرب، وعندما حدث زلزال عام 1927م في أريحا وما حولها، أدى إلى تدمير كثير من المباني، مما أدى إلى ظهور أنقاض مدينة أريحا القديمة، وبعد فحص هذه الأنقاض وخاصة الأدوات الفخارية من قبل علماء الآثار – وعلى رأسهم: الأستاذ جارستارج/ مدير مصلحة الآثار الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني– تبين أنها تعود للفترة التي هاجم فيها يوشع بن نون أرض كنعان بعد خروجهم من سيناء، واستطاع علماء الآثار تحديد تاريخ هذه الغزوة بعام 1400 ق.م، وقد وجدت البعثة بهذه المنطقة آثاراً لقلعة يبوسية.

وعندما أذلت الملوك المجاورة لبني إسرائيل قبائلهم، هربوا إلى نبيهم صموئيل أو شموئيل بن بالي واستغاثوا به، وطلبوا منه تعيين ملك عليهم، يوحد صفوفهم لمواجهة خطر الفلسطينيين، فاختار لهم طالوت، أو" شاؤل" من بني نيامين، فرفضه بنو إسرائيل، واستنكروا اختياره مع أنهم طلبوا منه ذلك بأنفسهم[29]، وورد ذلك في القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾[30]، وفي آية أخرى وضح القرآن الكريم آية ملكه: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[31]، ومع أن اليهود نجحوا في إقامة ملك في جزء من أرض فلسطين لفترة محدودة تقارب الثمانين عاماً بقيادة داود وسليمان، عليهما السلام، إلا أن القبائل اليهودية بعدهما لم تستطع تكوين كيان سياسي موحد، له حدود محددة، ونظام إداري مركزي.

عندما تولى داود، عليه السلام، الملك على بني إسرائيل (1012–972 ق.م) استطاع قتل جالوت في قصة تذكرها التوراة والمصادر العربية، وحكم لمدة أربعين عاماً: في حبرون سبع سنين، وفي جزء من القدس/ يبوس ثلاثاً وثلاثين سنة.[32] أراد داود، عليه السلام، أن يجعل لملكه عاصمة يستقر فيها، فتوجه إلى أورشليم أي "يبوس"، لكن أهلها قاوموه وصدوه عنها، فأقام عاصمة ملكه في حصن صهيون في نهاية القرن الحادي عشر ق.م "حوالي سنة 1049 ق.م"، وجاء في العهد القديم: "وذهب داود وكل إسرائيل إلى يبوس، وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وقال سكان يبوس لداود: لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود حصن صهيون، وهي مدينة داود"[33].

---

29 – تاريخ الطبري: الطبري، 1 / 467.

30 – البقرة: 247.

31 – البقرة: 248 .

32 – سفر صموئيل: 17 ، 6/31 ، سفر الملوك الأول : 11/2 ، تاريخ الطبري: الطبري، 1/ 473-472، 475.

33 – سفر أخبار الأيام الأول: 4/11–5

أراد داود، عليه السلام، بناء مكان مقدس للعبادة، وبدأ بالتحضير لذلك، ولكنه بُني في عهد ولده سليمان، عليه السلام، الذي اعتلى ملك بني إسرائيل بعد أبيه، حيث تم البناء خلال سبع سنوات، وذلك في عام 1007 ق.م[34]، وقد قص الله تعالى نبأ سليمان، وأخبر أنه سخر له الجن والإنس وكل شيء بقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[35]، وفي آية أخرى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[36].

وقد ذكرت المصادر العربية هذا البناء لبيت المقدس، والمعبد الذي فيه بين الإيجاز والتفصيل والتحليل، فقد أشار إليه الطبري بقوله: "وفي سنة أربع من ملكه . أي سليمان . ابتدأ ببناء بيت المقدس"، بينما جاء ابن خلدون بوصف مفصل لبيت المقدس[37]، أما السيوطي فيوضح مشاركة الإنس والجن في البناء[38]، ولكن ابن كثير جاء بتحليل لأصل هذا البناء الذي يذكره بالمسجد، وأن الذي بدأ بالبناء هو يعقوب[39]، بل ويذهب السيوطي إلى أبعد من ذلك بقوله: "إن الأساس القديم الذي كان لبيت المقدس وضعته الملائكة بعد وضع أساس المسجد الحرام"، وفي قول آخر: إن آدم، عليه السلام، هو أول من بنى مسجد بيت المقدس، وقيل أيضاً: إن الذي أسسه سام بن نوح، كما قيل: إن إبراهيم، عليه السلام، هو الذي وضع أساسه بعد الفراغ من بناء الكعبة التي أمره الله تعالى ببنائها بأربعين سنة، كما جاء في الحديث الشريف: "عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ، فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ"[40]، وقيل: إنّ أول من بناه يعقوب، أو أنه طور البناء الذي كان قائماً فقط، وليس كما يفهم من نص الحديث السابق أنّ المدة الزمانية بين البناءين هي أربعون عاماً، بل المقصود هو أنّ البناء للأقصى جاء بعد أربعين عاماً من تجديد الكعبة[41]، ويرى المؤرخون أن البقعة الطاهرة التي بني عليها المسجد الأقصى كانت معروفة لليبوسيين الكنعانيين، ثم بناه داود وسليمان، عليهما السلام، على ذلك الأساس القديم، وما قاله ابن كثير والسيوطي يوضح أن عمل داود وسليمان، عليهما السلام، اقتصر على إعادة تجديد البناء.

---

34 – القدس تاريخاً وجغرافية: د. فاروق عز الدين: ص 20 .

35 – النمل: 17.

36 – ص: 36 –37.

37 – تاريخ ابن خلدون، 2/ 97–98.

38 – إتحاف الأخصا، 1 / 120.

39 – البداية والنهاية: ابن كثير، 1/ 162.

40 – صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب}.

41 – إتحاف الأخصا، 2 /8.

في عهد نبوخذ نصر (604–562 ق.م)، ثار ملك يهودا "يهوياقيم" (609–598 ق.م) على سيده البابلي مما دفع نبوخذ نصر إلى التوجه إلى فلسطين، والقضاء على الثورة، وأخذ الملك عبداً عنده ثلاث سنوات ثم أعاده، فعاد ثانية إلى التمرد على سيده، ثم عاد لقمع الثورة مرة أخرى، وبعد موت يهوياقيم جاء من بعده ولده "يهوياكين" الذي تذكره المصادر العربية باسم: "يوياحين بن يوياقيم"، وقد وقع بمملكته تحت حصار نبوخذ نصر الذي أخذه وأهل أورشليم أسرى إلى بابل، وهو ما عرف "بالسبي البابلي الأول" سنة 597 ق.م[42]، أما السبي البابلي الثاني على يد نبوخذ نصر أيضاً . وهو المشهور . فكان في عام (587 ق.م) في عهد صدقيا حاكم القدس؛ بسبب تمرده مما جعله يحاصر القدس ثمانية عشر شهراً، ثم دخلها، وتم تدمير الهيكل وبيوت أورشليم كلها، وهدم أسوارها جميعها، وسبي جميع من فيها[43].

وتشير المصادر العربية إلى هذا السبي البابلي لليهود، وخراب الهيكل على يد نبوخذ نصر الذي يذكره المؤرخ الطبري باسم": بخترشة"[44]. وتتفق المصادر العربية في أن سبب قدوم نبوخذ نصر إلى أورشليم هو قتل اليهود لنبيهم يحيى بن زكريا، فحلّ غضب الله على بني إسرائيل، فأرسل عليهم نبوخذ نصر، فحكم فيهم حكم الجاهلية، وبطش الجبارين، وهدم بيت المقدس، وسبى بني إسرائيل إلى بابل[45]، فمن هذا التاريخ الثابت؛ أي منذ ستة قرون قبل الميلاد، انتهى التاريخ السياسي لبني إسرائيل في القدس وفلسطين، وظلوا بعد ذلك خاضعين لدولة الفرس، ثم اليونان، ومن بعدهم الرومان.

أما تدمير الهيكل بشكل نهائي كما تجمع المصادر القديمة والحديثة؛ فجاءت على يد الإمبراطور الروماني "إيليوس هادريانوس" سنة 135م، حيث هدم مدينة القدس كلها، وبنى مكانها مدينة رومانية خالصة أسماها: "إيليا كابيتولينا"، كما أقام مكان الهيكل معبداً للإله الوثني الروماني "جوبيتر"، وزينها بالأبنية الوثنية والملاهي والحمّامات، إلى أن انتشرت المسيحية، وأصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وبُنيت كنيسة القيامة فيما بعد على يد الملكة هيلانة، ومُنع اليهود من دخول المدينة[46]. وانقطعت صلة اليهود بفلسطين حوالي "1800 عام"؛ أي ثمانية عشر قرناً متواصلة. وبقيت القدس تتمتع بالأمن والسلام منذ عام "135م" إلى "سنة 614م" حينما احتلت جيوش الفرس بلاد الشام من الرومان، ودخلت القدس ومعها عدد من اليهود، وأُحرقت خلال ذلك كنيسة القيامة بعد نهب تحفها وكنوزها، كما هُدمت الأديرة والكنائس في مختلف أنحاء فلسطين بتحريض من اليهود[47]. إلا أن حكم الفرس في القدس لم يدم طويلاً، فقد انتصر عليهم الإمبراطور هرقل عام 627م، ودخل القدس في العام التالي، واحتفل برفع الصليب الذي نقله الفرس إلى بلادهم[48]. وبقيت القدس تحت حكم الرومان إلى أن فتحها المسلمون في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

---

42 – سفر الملوك الثاني: 12/24 ، الطبري: 536/1 ، في تاريخ الشرق الأدنى: د/ حسن محمد محي الدين السعدي: 204/2.

43 – سفر الملوك الثاني: 7/25 سفر أرميا: 6/39–7، تاريخ الطبري: 1 /536، في تاريخ الشرق الأدنى، السعدي، 205/2، نقض شريعة الهيكل: عبد التواب مصطفى، صفحات: 18–19، 24–25، 132–133.

44 – الطبري: 1/ 536.

45 – البداية والنهاية 2/ 38–39، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، 2/ 11.

46 – إتحاف الأخصا 2/ 192–193، تاريخ العرب قبل الإسلام: عبد العزيز سالم، ص433، ص182، القدس: عز الدين، ص75.

47 – بلدانية فلسطين العربية: الأب مرمرجي الدومنكي، ص203 .

48 – مقال بعنوان " الحق العربي في القدس": د. سعيد محمد أبو صافي، ص 7، " بتصرف".

القدس في ظل الاحتلال الإسرائيلي

ما يجري في القدس الآن

نظراً لصعوبة الوقوف عند تفاصيل الإجراءات والأعمال التي تستهدف تهويد القدس في هذه العجالة، فقد يكون من المفيد هنا عرض عينة فيها شيء من التوضيح لبعض تلك الإجراءات، وذلك على النحو الآتي:

الشروع بالإجراءات العملية لاستهداف القدس بالتهويد منذ الأيام الأولى لاحتلال القدس عام 1967

تتعرض مدينة القدس إلى حملة شرسة تستهدف تغيير معالمها، وإخضاعها للسيطرة الصهيونية الكاملة، على أكثر من صعيد، وبأكثر من وجه، وبأساليب مختلفة، ووسائل عديدة، وقد بدأت هذه الحملة مع احتلال المدينة المقدسة عام 1967م، فمنذ الأيام الأولى للاحتلال، هدمت حارة المغاربة بالكامل، بما فيها من بيوت ومساجد ومدارس وزوايا، ولم يبق من ذاك الحي إلا التلة المؤدية إلى المسجد الأقصى المبارك، والموصلة إلى بوابته الرئيسة المعروفة بباب المغاربة، وحتى هذه التلة لم تسلم من الهدم، فقد هدمتها آليات الاحتلال، وذلك في السابع من شهر شباط لعام 2007م، ورغم كل الاحتجاجات الصادرة عن الأوقاف الإسلامية، برفض هذا العدوان، وكذلك تقرير منظمة اليونسكو الذي طالب السلطات الإسرائيلية بوقف الهدم، والامتناع عن تغيير المعالم في هذه التلة، إلا أن سلطات الاحتلال استمرت في مخططها لإقامة جسر حديدي، مكان الطريق الأثرية التي تشتمل على الآثار الإسلامية منذ الحقب الإسلامية المبكرة للوجود الإسلامي في هذه الديار المباركة، ناهيك عن توسيع الساحة الواقعة أمام حائط البراق، وهو الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، والمحاولات المستمرة لترميمه من قبل سلطات الاحتلال، في تدخل سافر بصلاحيات الأوقاف الإسلامية المسؤولة عن مرافق المسجد الأقصى وجدرانه كلها، من حيث الترميم، والصيانة، والإدارة.

المسارعة في الإعلان عن القدس عاصمة للكيان الصهيوني

سارعت سلطات الاحتلال في خطوة مخالفة للقوانين والأنظمة والأعراف الدولية كلها، إلى اعتبار المدينة المقدسة عاصمة للكيان الإسرائيلي، وتنكرت لرموز السيادة العربية على المدينة، كأمانة القدس، ومحافظتها، وسارعت في دمج باقي الخدمات الحياتية اليومية بعجلة الدوائر الإسرائيلية.

القيود الصعبة على بناء المنازل العربية في القدس وإجراءات هدمها بهدف تهجير أهلها

تصاعدت وتيرة الهجمة على القدس عبر سنوات الاحتلال العجاف، حتى بلغت ذروة لافتة للأنظار في السنوات الأخيرة، فالمواطن المقدسي محاصر بقيود صعبة، تستهدف الضغط عليه ليهجر مدينته وبيته، فهو إن أراد بناء بيت على أرضه، أو إضافة غرفة إلى مسكنه القائم، يمر بسلسلة من العوائق التي تحول دون تحقيق مراده، فإجراءات الترخيص طويلة وصعبة، وباهظة التكاليف، وتنتهي في الغالب برفض الطلب، لأسباب يتفنن الاحتلال باختلاقها، وفي ظل هذا التعقيد، وتلك المصاعب، يحاول المواطن المقدسي مضطراً إقامة بناء، أو إضافة عليه، قبل الحصول على الترخيص الاحتلالي، وحينها تسارع جرافات الهدم بمرافقة القوات المدججة بأنواع الأسلحة والآليات الفتاكة، وتفاجئه بإجراءات الهدم أحياناً في جنح الظلام، وأحياناً أخرى في وضح

النهار، على مرأى من عدسات الكاميرات والمحطات الفضائية التي تعج بأخبار الهدم الظالم، ويتشرد السكان في العراء، يلتحفون السماء، ويفترشون الأرض، دون أن يجدوا وقفة جادة من أصحاب التأثير والنفوذ المنتشرين في ربوع العالم.

مصادرة الأراضي والمباني العربية

ومن الإجراءات التي تهدف إلى الاستيلاء على القدس، اغتصاب أراضيها، ومصادرة مبانيها بالقوة، بحجة شق الطرق، وحفر الأنفاق، وبناء الأسواق، والأماكن العامة، وقد طال ذلك البيوت والأراضي ذات الملكية الخاصة والعامة، إضافة إلى الأماكن الأثرية والمقابر، فلم يسلم من هذا السلب حتى الأموات في قبورهم، ومن أوضح الشواهد على ذلك ما يحصل لمقبرة مأمن الله في القدس، حيث يجري العمل على بناء متحف على أنقاضها، ومن المفارقات السخيفة أنهم أطلقوا مسمى "التسامح" على المتحف المذكور.

تشديد القيود الضاغطة على سكان القدس العرب ليهجروها

إلى جانب صعوبات ترخيص الأبنية والمنشآت ومعوقاتها، وتعرضها لسيف الهدم المتسرع، فإنه يضيق الخناق على المواطن المقدسي بفرض قيود على مكان السكن، فمن ثبت سكنه خارج حدود جدار الفصل العنصري، يعرض نفسه لعقوبة سحب الهوية، مما يعني إنكار مواطنته في المدينة المقدسة، حتى إنه مقيد في السلع التي يشتريها لغذائه، فيمنع من حمل أنواع مختلفة من المواد الغذائية لأسرته من المناطق المحيطة بمدينة القدس، وإن ثبت عليه هذا (الجرم)، فإنه يواجه بأنواع شتى من العقوبات، تبدأ بمصادرة السلعة، وتمر بالمحاكمة، وتنتهي بالغرامة أو السجن!!

وإن حاول المواطن المقدسي الزواج من امرأة فلسطينية تسكن خارج حدود الجدار، أو رضي بإجابة طالب الزواج من ابنته أو أخته، الذي يسكن فيما يجاوره من قرية أو مدينة أو حي، فإنه يقع في مشكلة لها أول دون آخر، سواء فيما يخص شرط الإقامة، أو عقوبة سحب الهوية، أو الحصول على تصاريح الزيارات العائلية ....إلخ

وإلى جانب هذه العراقيل، تأتي الضرائب الباهظة بأسمائها المختلفة، التي يعرف المواطن بعضها، ولا يعرف الآخر، لأنها في تحديث متواصل، وإضافة مستمرة.

فهذه بعض المصاعب التي يضعها الاحتلال في طريق حياة المواطن المقدسي، بهدف الضغط عليه؛ ليهجر المدينة المقدسة، وبالتالي إفراغها من سكانها، وجعلها في متناول المحتل؛ ليملأها بمستوطنيه.

جدار الفصل العنصري

إن تشديد الحصار الظالم على مدينة القدس هو الوجه الآخر للحصار على مناطق الضفة الغربية، الذي أقيم جدار الفصل العنصري لتحقيقه، فحرم آلاف المؤمنين من شد الرحال إلى مسرى نبيهم ﷺ الذي حثهم عليه بقوله: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ، إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) [49].

49- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

وواضح أن من أهداف هذا الحصار فصل القدس عن محيطها العربي والإسلامي، وتقطيع أوصالها وصلاتها بهم.

الطمس الثقافي

يظهر الاستهداف الثقافي لمدينة القدس في أكثر من صورة، فإغلاق المؤسسات المقدسية التعليمية والثقافية والاجتماعية والصحية شاهد عيان على هذا الاستهداف، ورفض الاعتراف بالشهادات التي تصدرها جامعة القدس شاهد آخر، ومن آخر صرعات الطمس الثقافي الذي تمارسه سلطات الاحتلال أنها تعمل على تغيير الأسماء العربية للمدن والشوارع والأحياء في القدس وضواحيها، وتجبر أصحاب المحلات على كتابة أسمائها بالعبرية – لغة المحتل الإسرائيلي– على يافطاتهم.

طمس المعالم العربية والإسلامية في القدس المحتلة

إلى جانب ما تقوم به سلطات الاحتلال من بناء استيطاني في القدس ومحيطها، فإنها تقوم بعملية طمس مبرمجة للمعالم العربية والإسلامية، ومن شواهد ذلك إقدامها على سلب أحجار أثرية تاريخية إسلامية من منطقة القصور الأموية الإسلامية في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك، واستبدلت مؤخراً حجارة مختومة بختم دائرة الآثار الإسرائيلية بحجارة في سور القدس، وقامت بهدم عمارة الوقف الإسلامي الموجودة في القدس الغربية بالقرب من مقبرة مأمن الله، وهذه العمارة شيدت في أواخر عام 1928م، وهي من أملاك الوقف الإسلامي، فهي تعمل على هدم المعالم الإسلامية والعربية وتدميرها، ووضع معالم إسرائيلية وآثار مزورة؛ بهدف طمس الحقائق، مع الإشارة إلى أنها لا تقوم بطمس الآثار العربية الإسلامية في القدس فحسب، بل في الأراضي الفلسطينية جميعها؛ وذلك سعياً لتهويدها، وإظهارها على أنها آثار يهودية، غير آبهة بتحريف التاريخ وتزييفه.

الحصار الظالم

سبق لسلطات الاحتلال أن اتخذت قراراً بإغلاق باب العامود – أو باب دمشق–، وهو أحد الأبواب الرئيسة لمدينة القدس المؤدية إلى المسجد الأقصى المبارك، وذلك ضمن إجراءاتها الرامية إلى تهويد المدينة المقدسة بكاملها بعد أن طوقتها بجدار الفصل العنصري، الذي أحكم الخناق والحصار على القدس من ناحية، وحجب عنها أهلها من سكان المناطق العربية المجاورة، وهذا القرار ينطوي على أخطار كبيرة، منها التحكم بدخول المواطنين إلى المدينة، وإعاقة المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك لإعماره، وبالتالي فرض مزيد من القيود عليهم، ويأتي هذا في إطار سياسة سلطات الاحتلال لخنق المدينة اقتصادياً، وتحويلها إلى منطقة مهجورة، كما حدث في البلدة القديمة بالخليل، والتي أصبحت بعد ذلك مرتعاً للمستوطنين المتطرفين، فالسياسة التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي تهدف إلى تهويد القدس بأكملها، وطرد المواطنين العزل من منازلهم، حتى يتسنى للمستوطنين بناء آلاف الوحدات السكنية فيها، سواء في حي الشيخ جراح أم سلوان أم منطقة الطور والعيزرية أم البلدة القديمة، محاولة بذلك فرض سياسة الأمر الواقع.

الاعتداء على المقابر

لم تسلم مقابر أموات المسلمين من عبث الجهات الإسرائيلية الرسمية والاستيطانية، كما حصل لمقبرة مأمن الله التي حولوا أرضها إلى ما يسمى "بمتحف التسامح"، وهو تسامح عجيب، خصوصاً أنه يقوم على رفات الموتى، بالإضافة إلى طمر جزء منها بالقرب من قبر الأمير الكبكي المملوكي المقام منذ 800 عام غربي المدينة المقدسة، وذلك بطبقة سميكة من نجارة الخشب والأتربة بغرض إقامة الحي الاستيطاني الذي يهدف إلى زيادة عدد المستوطنين في القدس.

كما قررت منع المسلمين من دفن موتاهم في مقبرة باب الرحمة في القدس، في محاولة لإلغاء حق المسلمين بدفن موتاهم في هذه المقبرة التي هي ملك للمسلمين، متجاهلة حقهم في الإشراف عليها والتصرف بها، وهي بذلك تمس كرامة الأموات، بعد أن تجاوزت معالم كرامة الأحياء، ولم تبق على شيء منها.

استهداف المسجد الأقصى

إن الاستهداف الظالم للمدينة المقدسة يصبح أكثر جلاء، عند استعراض الإجراءات الإسرائيلية ضد المسجد الأقصى المبارك، فهي تجري بأساليب واضحة الهدف، بينة الخطورة منذ بداية العهد مع الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية وقدسها ومسجدها الأقصى، ويمكن الوقوف في هذه الورقة عند محطات تمثل عينة لهذه الحملة المسعورة، وذلك على النحو الآتي:

حرق المسجد الأقصى

وقع حريق المسجد الأقصى المشؤوم في الحادي والعشرين من شهر آب لعام 1969م؛ لينبه الأمة الإسلامية إلى الخطر الحقيقي الذي يستهدف المسجد الأقصى المبارك، وجوداً وحضارة، وأنشئت على إثر ذلك منظمة المؤتمر الإسلامي، إلا أن الجهود العربية والإسلامية والدولية، لم تفلح لغاية الآن في كبح جماح الاحتلال عن مواصلة مخططاته الهادفة إلى تهويد القدس.

الحفريات المتواصلة أسفل المسجد وتحت أساساته وجدرانه

تقوم سلطات الاحتلال بالحفريات، وفتح الأنفاق منذ عام 1967م في المنطقة المحيطة بالمسجد الأقصى، وأسفل جدرانه، وما عملته سلطات الاحتلال في تلة باب المغاربة، يأتي في سياق عملها في حفر الأنفاق، وهدم الآثار الإسلامية والعربية في المناطق الفلسطينية جميعها، ومن دلائل الحفريات التي تقوم بها أسفله وأسفل البلدة القديمة بالقدس الانهيار الذي حدث في شارع سلوان، والذي أحدث حفرة عميقة فيه، وذلك يدل بلا شك على وجود حفريات خطيرة، وهذه الحفريات تشكل خطراً حقيقياً محدقاً بالمسجد الأقصى المبارك وأروقته وجدرانه، ويهدد خطرها منازل المواطنين الموجودة في مناطق الحفريات، فسلطات الاحتلال ممعنة في حفر الأنفاق في الوقت الذي تمنع أعمال الترميم للمسجد الأقصى والمباني في البلدة القديمة، مما يتسبب بتصدع أساسات المباني وجدرانها، ويعرضها للسقوط والدمار، وهذه الانهيارات ليست الأولى، بل سبقها العديد من الانهيارات، منها ما حدث في مدرسة الوكالة في سلوان بفعل آثار حفر الأنفاق، ومعلوم أن سلطات الاحتلال ومستوطنيه يقومون بحفر شبكات أنفاق بحثاً عن تاريخ واهم لهم، وهذه الحفريات ستؤدي إلى اهتزاز أساسات المسجد الأقصى المبارك وهدمه – لا سمح الله – ويخشى من أن تؤدي آثار الحفريات إلى إجبار السكان الفلسطينيين العرب على ترك منازلهم خشية سقوطها عليهم، وبالتالي الاستيلاء عليها من قبل سلطات الاحتلال والمستوطنين، وهي بذلك تضرب بعرض الحائط القوانين والأعراف الدولية جميعها التي تمنع أي عمل لتغيير المعالم في الأراضي المحتلة. وهي بذلك تضر بمصالح المنطقة، وتقودها إلى مزيد من التوتر، وعدم الاستقرار، في ظل تشدقها بالحديث عن السلام، وزعمها الحرص عليه.

فالحفريات تحت جدران المسجد الأقصى قائمة على قدم وساق، كُشِفَ عن بعضها، ومؤكد أن كثيراً منها يجري العمل به في سرية تامة، بدليل أن العلم بالمكشوف تم بعد مرور زمن على الانتهاء منه، إذ الحفر والعمل في الأنفاق يحاطان بإجراءات مشددة من السرية والكتمان، الذي تحبكه سلطات الاحتلال برمتها وتديره.

حصار المسجد الأقصى وعرقلة إعماره وشد الرحال إليه

لا يقف استهداف وجود المسجد الأقصى المبارك عند الحفريات المكشوفة والمكتومة، وإنما تتم إجراءات الاستهداف عبر قنوات كثيرة أخرى، فالحصار مشدد عليه، ومحكم بقوات الشرطة وحرس الحدود، وأجهزة الأمن الإسرائيلية المختلفة الظاهرة والخفية، إضافة إلى الكاميرات المنصوبة على الأماكن المحيطة به وأبوابه والطرق المؤدية إليه، التي ترصد حركة كل داخل وخارج، سواء في ذلك البشر أم غيرهم، والقوانين الإسرائيلية الظالمة تمنع إدخال شيء إلى المسجد الأقصى المبارك، أو إخراج شيء منه إلا بموافقتها، حتى إن مواد البناء والصيانة البسيطة تمنع من الدخول إليه، تبعاً لسياسة سلطات الاحتلال التي تقضي بمنع القيام بأي صيانة أو إعمار للمسجد إلا بموافقة إسرائيلية، وهي بالتالي ترفض ما تشاء، وتسمح بما تشاء.

والحديث يطول عن منع المسلمين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه، فلا يسمح بالوصول إليه إلا بعد الحصول على تصاريح خاصة من سلطات الاحتلال، التي تمنحها في نطاق ضيق للغاية، وفي أوقات محددة، وتحرم الغالبية العظمى من المسلمين من الوصول إلى مسجدهم لزيارته وأداء عبادتهم فيه.

وتظهر معالم الاستهداف للمسجد الأقصى والقدس واضحة في هذا المجال، ففي الوقت الذي تُشدد الإجراءات على المسلمين حتى لا يصلوا إلى مسجدهم الأقصى للصلاة فيه، فإن تسهيل وصول المستوطنين إليه يتم بحراسة سلطات الاحتلال ورعايتها، وتتكرر محاولاتهم لاقتحامه، وإقامة شعائرهم في ساحاته، إضافة إلى الحديث الجدي عن استهدافه بالهدم، وما يشاع عن تخطيطهم لإقامة الهيكل المزعوم مكانه.

فالصلاة والاعتكاف، والخطابة والدروس، والبناء والصيانة، والزائرون والداخلون والخارجون، والشجر والحجر، والضوء والظلمة، كل ذلك وغيره من متعلقات المسجد الأقصى المبارك، يخضع بالتمام والكمال للرقابة والمتابعة الإسرائيلية، بل تتحكم به سلطات الاحتلال الإسرائيلية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

التهديد بهدم المسجد الأقصى

لم تكن حادثة إحراق المسجد الأقصى عام 1969م سوى بداية لمحاولات عديدة لهدمه وفق ما تتحدث عنه الأخبار والتقارير، ومن ذلك التسجيل الافتراضي الذي تنشره بعض الجماعات اليهودية، وتتداوله فيما بينها في حفلات خاصة، لهجوم تدميري على المسجد الأقصى المبارك بالطائرات والصواريخ، ومن ثم بناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

ويبدو أن الأيام القادمة ستشهد تصعيداً خطيراً ضد المسجد الأقصى حسب ما ينشر في وسائل الإعلام عن الخطط المبيتة لذلك.

السعي الإسرائيلي لإقامة الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى أو في ساحاته

نشرت صور الهيكل المنوي إقامته على أنقاض المسجد الأقصى على مواقع عديدة، ومنها جوانب الحافلات الإسرائيلية، ونقلت بعض وسائل الإعلام عن مسافرين أنه نصب مؤخراً مجسم كبير، يبدو أنه لما يسمى بـ "الهيكل الثاني" في صالة استقبال القادمين من الخارج إلى مطار بن غوريون الدولي في مدينة اللد.

وزعمت دائرة الآثار الإسرائيلية أنها وجدت آثاراً في مخلفات الأتربة التي أخرجتها دائرة الأوقاف الإسلامية عام 1999م إلى خارج المسجد الأقصى المبارك، وهذه المزاعم محض كذب وافتراء، فلا وجود لأي آثار للهيكل المزعوم في ساحات المسجد الأقصى المبارك أو تحته أو قريباً منه، والأتربة التي أخرجتها دائرة الأوقاف الإسلامية هي سطحية وخارجية، وتعود إلى العهد العثماني، وليست من العهد القديم كما يزعمون، مع التذكير أن القدس تعرضت مرات عديدة لعمليات هدم وطمر بسبب الزلازل التي شهدتها فلسطين عبر التاريخ، وبالتالي؛ فإن التربة المستخرجة حديثة العهد، ولا تمت لآثار العهود التي يتحدثون عنها بصلة، وإن سلطات الاحتلال تدعي كل مرة أنها وجدت آثاراً للهيكل المزعوم، في إطار سياستها لتهيئة الرأي العام وترويضه لما سيجري لاحقاً في تنفيذ مخططاتها بهذا الخصوص.

اقتحام المسجد الأقصى اليومي بمسيرات وغيرها

تسير بعض الحركات الإسرائيلية نحو الأقصى بين الحين والآخر مسيرات تحت مسميات مختلفة وفي مناسبات عديدة، والتصريحات العلنية تعبر عن الرغبة الملحة في اقتحام المسجد وهدمه وإقامة الهيكل مكانه، وتصدر من أفواه ومستويات عديدة ومختلفة، إضافة إلى زعم ما يسمى "لجنة الآثار الإسرائيلية" اكتشاف آثار تعود إلى الهيكل المزعوم خلال حفريات قامت بها دائرة الأوقاف الإسلامية مؤخراً لتمديد خط كوابل كهرباء في المسجد الأقصى المبارك.

من جانب آخر؛ فإن سلطات الاحتلال تقتحم بين الحين والآخر باحات المسجد الأقصى وتطوقه وتحاصر من فيه من المعتكفين والموظفين، في الوقت الذي ترعى فيه الجماعات المتطرفة التي تعيث فساداً في الأراضي الفلسطينية، ويتزامن ذلك في كثير من الأحيان مع دعوات جماعات يهودية متطرفة لاقتحام المسجد الأقصى المبارك لإقامة شعائر وطقوس تلمودية في باحاته.

الاعتداء على حراس المسجد الأقصى وعرقلة عملهم

ما تفتأ سلطات الاحتلال تعتدي على حراس المسجد الأقصى المبارك من خلال أفراد أجهزتها الأمنية وشرطتها، الذين يمارسون بحق المسجد الأقصى المبارك وحراسه ورواده أبشع أساليب التنكيل، ويمنعون عدداً من الحراس والسدنة من الالتحاق بوظائفهم وأعمالهم لعرقلة حراسة المسجد, وتحظر على بعضهم الوصول إلى منطقة المسجد, وبعضهم مضى على أوامر منعه من دخول المسجد الأقصى المبارك مدة زمنية طويلة، ضمن أساليبها الرامية لإفراغ المسجد من رواده.

إحاطة المسجد الأقصى بالكنس ووحدات البناء الاستيطانية

تعمل سلطات الاحتلال على إحاطة المسجد الأقصى بالكنس التي يتم تشييدها ورفعها، بحيث تعلو المسجد وتحجبه عن الظهور والبروز في قلب القدس، مثل "كنيس الخراب" الذي أقامته بالقرب من المسجد الأقصى المبارك، وعلى أراضٍ عربية إسلامية وقفية، غير آبهة بمشاعر المسلمين وحقوقهم، وردود أفعالهم.

وأفادت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية مؤخراً كصحيفة يديعوت أحرونوت أن اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في القدس ناقشت في النصف الثاني من شهر أيار 2010م مشاريع بناء ضخمة في محيط حائط البراق، الذي يسمونه حائط "المبكى"، وباب المغاربة، وفي مواقع عديدة أخرى في محيط المسجد الأقصى والبلدة القديمة في القدس، وتتضمن هذه المشاريع إقامة مبنى على موقع موقف السيارات قرب باب المغاربة بجانب المسجد الأقصى، وكذلك ترميم ساحة حائط البراق، وإقامة سقف فوقها، بالإضافة إلى إقامة مخفر للشرطة الإسرائيلية هناك، وهذا ما جرى فعلاً، حيث شرعت سلطات الاحتلال في إعداد المخططات لتنفيذ تلك المشاريع، وبدأت بتنفيذ بعضها.

مع الإشارة إلى أن سلطات الاحتلال اتخذت قراراً ببناء 20 ألف وحدة استيطانية في القدس المحتلة مؤخراً.

المطلوب لحماية القدس والمسجد الأقصى المبارك وإنقاذهما

القدس ومسجدها الأقصى يواجهان هجمة استيطانية متصاعدة من قبل سلطات الاحتلال، وذلك استمراراً لنهجها بتهويد المقدسات الإسلامية، التي كان آخرها ضم كل من المسجد الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح إلى قائمة التراث اليهودي، دون أن تقيم – كعادتها – وزناً لأي اعتبار ديني، إضافة إلى ما يقدم عليه مستوطنوها من إحراق للمساجد في الأراضي الفلسطينية، فقد أحرقوا بالأمس القريب مسجد ياسوف في محافظة سلفيت، ثم مسجد اللبن الشرقية في محافظة نابلس، تلاه مسجد الأنبياء في بيت فجار في محافظة بيت لحم، وجرفوا مسجد الدهنية في محافظة رفح، ضمن مسلسل متواصل وغريب.

وإن استمرار سلطات الاحتلال في هذه السياسة سيجر المنطقة بأكملها إلى عواقب وخيمة، حيث إنها تعمل بين الفينة والأخرى على جس نبض الشارع الفلسطيني والعربي والإسلامي من خلال رصد ردة فعله مثل ممارساتها ضد الحقوق والمقدسات الفلسطينية، وهي بذلك تتجه نحو إحداث كارثة حقيقية تستهدف المقدسات الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

مع التنبيه إلى أن سكوت المسلمين والعرب عن هذه الممارسات والاعتداءات، شجع سلطات الاحتلال على التمادي بها، وإن الهيئات والمنظمات المحلية والدولية مطالبة بضرورة التدخل لوقف مثل هذه الممارسات التعسفية التي ازدادت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ وكبير، بلا أي مبالاة من السلطات المحتلة، ودون رادع من المجتمع الدولي، وهي تسعى من وراء أفعالها هذه إلى وضع اليد فعلياً على القدس والمقدسات، وتغيير معالم المدينة المقدسة، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، لذا يتوجب على المسلمين في أقطار الأرض كافة ضرورة المسارعة لمنع سلطات الاحتلال من تنفيذ هذا القرار، وحماية مسجدهم الأقصى المبارك.

ولا بد في هذا المقام من الإشارة إلى أن مسلمي بيت المقدس وأكنافه ومسجدهم الأقصى المبارك يتعرضون لسيولٍ من الكيد والاضطهاد، وهم عزل إلا من إيمانهم بالله الذي وعدهم بأجر الصبر على ما يجدون من صنوف المعاناة في سبيل ثباتهم على حقهم وثوابتهم ومبادئهم، آخذين بهدي الله لهم، حيث أمرهم سبحانه بالصبر والمرابطة في سبيله، ومغالبة أعدائهم بهما، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (50)

فهم على ثغر مهم، والواجب يقتضيهم ملازمته لدفع الكيد عنه، بتواجدهم وصلاتهم فيه، وبتكثيف شد رحالهم إليه، مسترشدين بهدي أسوتهم، صلى الله عليه وسلم، إذ عين مسجدهم الأقصى أحد أعظم ثلاثة مساجد في الإسلام، التي تقصد بشد الرحال إليها تعبداً، وطلباً لمضاعفة أجر التعبد إلى الله فيها، في تمييز واضح لها عن غيرها من بقاع الأرض وسائر المساجد.

---

50 – آل عمران: 200.

وقد بين صلى الله عليه وسلم للمؤمنين منزلة المرابطين، الذين يشكلون دروعاً بشرية، تحمي ثغور أوطانهم، ومقدساتهم، فقال عليه الصلاة والسلام: (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؛ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)[51].

بل بين لهم أسوتهم، عليه الصلاة والسلام، أن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، ورباط شهر خير من صيام الدهر، فقال: (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ)[52].

وتأسياً بهذا الهدي النبوي الشريف؛ فإن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – حين سئل أيهما أحب إليه، الإقامة بمكة أم الرباط في الثغور؟ فقال: الرباط أحب إليّ، وقال: ليس عندنا شيء من الأعمال الصالحة يعدل الجهاد والغزو والرباط.

ويعبر مسلمو الديار الفلسطينية المباركة خلال جمع رمضان عن عمق ارتباطهم بمسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم، وقبلتهم الأولى، وثاني مسجد أقيم على الأرض، وظهرت صور هذا الارتباط جلية في تزاحم من سنحت لهم فرصة شد الرحال إليه في تلك الجمع، فتقاطروا من كل حدب وصوب، متحدين الصعاب، ومتحملين المشاق، في إصرار تطوعي قل نظيره للوصول إلى مسجدهم والصلاة فيه، وإخماد بعض نار شوقهم إليه، بعد أن حرموا منه، وهم على مرمى حجر منه، بفعل الظالمين، الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (53)

وجرت العادة أن تسمح سلطات الاحتلال في أشهر رمضان لأصحاب الأعمار الكبيرة بالتوجه إلى المسجد الأقصى أيام الجمع، وحمل مشهد تدفق المصلين والمصليات إلى المسجد الأقصى في تلك الجمع رسائل عديدة، من أبلغها ما تلقاه المحتل الغاصب، صاحب القيود والحواجز الظالمة والجدر العنصرية، من تأكيد أبناء أرض الرباط، وإصرارهم على التمسك بقدسهم وأقصاهم ومسرى نبيهم، فإن حالت الجدر بين أبدانهم وبينه، فهو في مهجهم وقلوبهم، ويفدونه بدمائهم وأرواحهم، وكيف لا يكون منهم هذا الحب لمسجدهم والتعلق به، وقد ارتبط بعقيدتهم، برباط سماوي، عبرت عنه فاتحة سورة الإسراء؟! فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (54)

---

51 – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

52 – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

53 – البقرة: 114.

54 – الإسراء: 1.

ويعلم أبناء هذه الديار المباركة أن مسجدهم الأقصى مستهدف، والعيون المتربصة به مفتوحة نحوه، لا تكل ولا تمل من تَحَيُّن الفرص لانتزاعه من يد المسلمين، وما يعلن من الأهداف والخطط والإجراءات بهذا الصدد، أقل بكثير مما يخفى ويجري في جنح الظلام، وإن ما يَرشح عما يخطط وراء الكواليس للمسجد الأقصى من كيد، هو أدهى وأعظم، من المعلن عنه من الإجراءات الكيدية والاعتداءات الظالمة، مما يتطلب مزيداً من اليقظة والالتفاف حول المسجد الأقصى، والمرابطة فيه، لمن تسنح لهم الفرص والظروف والإمكانات لذلك.

فالمواطنون في أرض الإسراء عزل، سوى من عقيدتهم الصلبة، ويقينهم بالله، ومن ذلك انطلقوا إلى شد الرحال إلى المسجد الأقصى لما رفعت بعض القيود التي تحجزهم عنه، متضرعين إلى الله أن يحمي مسجدهم من كل سوء، وأن ييسر لهم دوام الصلاة فيه، غير أن عموم المسلمين في بقاع الأرض وأقطار الدنيا مطالبون شعوباً وحكاماً، أفراداً وجماعات، ببذل أقصى طاقاتهم لحماية هذا المسجد بصفته قبلتهم الأولى ومسرى نبيهم.

ومن يقرأ القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد الأمين، صلى الله عليه وسلم، يجد إنكاره لحالة التقصير في نصرة الشعب المرابط على ثغور أرض الإسراء والمعراج، فالله تعالى ينكر على المؤمنين التلبس بهذا التقصير، فيقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (55)

فلن يُعذر المتخلفون عن أداء واجبهم نحو دينهم وإخوانهم ومقدساتهم، وأهل القدس وما حولها من أرض الرباط سيكتب لهم أجر معاناتهم وصبرهم ورباطهم، بإذن الله، فالله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (56)

وكل المخلصين الصادقين من أبناء هذه الأمة يبرأون إلى الله من أن يكون فيهم أو منهم من يخذل المسجد الأقصى، أو يفرط بجزء من ساحاته ومساطبه وبنائه وشجره وحجره، فهو خط أحمر، لن يتجاوزه بإذن الله أحد معتبر الرأي والمقام في هذه الأمة، ولن يفكر حاكم ولا محكوم من أمة الإسلام أن يفرط فيه أو يتنازل عن شبر أو حفنة تراب منه، مهما بلغت الخطوب، وتفاقم الحصار.

فالله عقد صفقة بيع وشراء مع عباده المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (57) ودون الجنة تهون الصعاب، فهي أسمى مبتغى، وأعظم مراد.

---

55 – النساء: 75.

56 – التوبة: 120.

57 – التوبة: 111.

وينبغي أن يعلم القاصي والداني أن ما يستهدف المسجد الأقصى من تهديد إنما يستهدف عقيدة مسلمي العالم، ويمس حقوقهم الثابتة ديناً وتاريخاً وثقافةً وواقعاً في هذا المسجد، الذي يمثل قبلتهم الأولى، ومسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم، ومنطلق معراجه إلى السماء.

وإن الإعلان عن المشروع اليهودي الذي يهدف إلى تهويد القدس، وتقسيم المسجد الأقصى المبارك، إنما هو ضرب من العدوان الآثم، يمس عقيدة المسلمين؛ لأن القدس والمسجد الأقصى المبارك ملك للمسلمين وحدهم، وتنحصر السيادة فيهما للمسلمين وحدهم، ولعل ما يتهدد قبلتنا الأولى ومسرى نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، يتطلب وقفةً حازمةً وحاسمةً لوقف الانتهاكات الإسرائيلية في القدس والمسجد الأقصى قبل أن تقع الطامة بهما.

وإن العالم أجمع – بحكوماته ومنظماته ومؤسساته التي تعنى بالسلام والإنسان والمقدسات – وزعماء الأمة العربية والإسلامية وشعوبها – على وجه الخصوص – مطالبون بالعمل على إنقاذ القدس والمسجد الأقصى المبارك قبل فوات الأوان، وهم مطالبون أيضاً بضرورة ثني سلطات الاحتلال عما تخطط له من طمس لهوية مدينة القدس وتشريد أبنائها، والوقوف في وجه الآلة العسكرية لسلطات الاحتلال التي تمارس أبشع جرائم الإحلال والتطهير العرقي ضد أبناء فلسطين بعامة، ومدينة القدس وأبنائها بخاصة، مما يزيد من حالة الاحتقان في المنطقة، ويضر بالاستقرار والأمن العالميين، مع التأكيد على أن القانون الدولي يمنع التعرض للمقدسات والآثار التاريخية للبلد المحتل، فالصمت الدولي إزاء هذه الممارسات وضد أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته مستهجن إلى أبعد الحدود، فدول العالم مطالبة بضرورة التحرك لوقف العدوان الإسرائيلي الغاشم ضد شعبنا ومقدساته، للحيلولة دون مخاطر العبث بالمسجد الأقصى المبارك وتداعياته.

كما أن شعبنا الفلسطيني مطالب بضرورة العمل على وحدة الصف، ونبذ الفرقة والانقسام، من أجل التمكن من الدفاع عن القدس والمقدسات والحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية، فحالة الانقسام الداخلي هي من أهم الأسباب التي أغرت وتغري سلطات الاحتلال في التعامل بغطرسة واستهتار مع حقوق الشعب الفلسطيني.

وعلى المواطنين والمؤسسات العمل على ترميم البيوت وإعمارها، وتفويت الفرصة على سلطات الاحتلال، حفاظاً على هذه الأماكن من أن تمس، مع التأكيد على ضرورة الثبات في وجه هذه الهجمة الشرسة التي تطال البشر والحجر وكل ما هو أصيل في القدس، ولا بد من تأكيد الدعوة لكل من يستطيع الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك من مدينة القدس وما حولها، وفلسطينيي 48 إلى شد الرحال إليه، والمرابطة فيه، وإعماره بالصلاة، لتفويت الفرصة على من يريدون اقتحامه وتدنيسه، بما يتنافى مع الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية التي تضمن الحفاظ على أماكن العبادة والوصول إليها، وفي هذا المقام لا بد من الثناء على يقظة حراس المسجد الأقصى المبارك وسدنته والمصلين فيه، الذين يقومون بواجبهم في حماية مسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم.

فالمطلوب من زعماء العرب والمسلمين وضع القدس وفلسطين على سلم أولوياتهم، وملاحقة من يعتدون على المصلين الآمنين ومساجدهم، والبحث عن سبل حماية للمواطن الفلسطيني ومقدساته، وعلى رأسها المسجد

الأقصى المبارك، خاصة في ظل الصمت الدولي تجاه ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي وانتهاكاتها للمقدسات والحقوق العربية في الأراضي الفلسطينية، وبخاصة في مدينة القدس.

والعتب واللوم سيبقى لازماً بالعرب والمسلمين، الذين تقاعسوا عن واجبهم نحو مسرى نبيهم، وقبلتهم الأولى، فما أدوا حقها عليهم، واكتفوا بالشجب والاستنكار، لما يحصل فيها من انتهاكات وجرائم.

آملين أن تتحقق لهم صحوة تجاه واجبهم، والمسؤولية الملقاة على عاتقهم، نحو دينهم ووجودهم ومقدساتهم وإخوانهم في القدس وفلسطين.

جعلنا الله ممن ربح البيع، وصدق الله ما وعده، عملاً بهدي محمد، صلى الله عليه وسلم، وصحابته البررة، عليه وعليهم وعلى آله الكرام، وعلى من سار على هديهم بإحسان إلى يوم الدين، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ونسأل الله العلي القدير أن لا يحقق لسلطات الاحتلال أهدافها، وأن يهيأ الله للقدس ومسجدها الأقصى وأهلها المرابطين الفرج القريب، والنصر العاجل، إنه سبحانه نعم المولى، ونعم النصير، وبالإجابة قدير.

المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تاريخ بيت المقدس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، د. ت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط4، بيروت، دار صادر، 2005م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، ط1، القاهرة، دار البيان الحديثة، 1423هـ-2003م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، ط1، القاهرة، شركة طبع الكتب العربية/ مطبعة الموسوعات، 1319هـ - 1901م.
- حسن، د. محمد خليفة، عروبة القدس في التاريخ القديم مع نقد تحليلي لصورة أورشليم في العهد القديم، رسالة الشرق، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، 1995، ص 9 و 53.
- الدومنكي، مرمرجي ، بلدانية فلسطين العربية. أبو ظبي : المجمع الثقافي , 1997م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ - 1987م.
- راشد، د. سيد فرج، القدس عربية إسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000م.
- سويدان، د. طارق، فلسطين التاريخ المصور، الكويت، شركة الإبداع الفكري، 2004م.
- السيوطي، محمد بن أحمد بن علي، إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى، القاهرة، دار الكتب، د.ت.
- شارف، الكسندر، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، ط1، مصر، مطبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،(د.ت).
- شريف، محمد بديع، مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً، القاهرة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية, قسم البحوث والدراسات القومية, 1973م.
- الطاهر، علي نصوح، تاريخ فلسطين والأردن.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ط2، بيروت، دار الفكر، 2002م.
- عدوان، بيسان، الهيكل الثالث في الحرم القدسي، مختارات إسرائيلية، القاهرة، سبتمبر/ أيلول، 2001م.
- علي، د. فؤاد حسنين، التوراة الهيورغليفية، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ص 87.
- الغنيمي، د. عبد الفتاح مقلد، هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين، ط1، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2000م.
- الكتاب المقدس، العهد القديم: أسفار (التكوين- الخروج- التثنية- يشوع – القضاة – صمويل- الملوك الأول- الملوك الثاني- عزرا- أخبار الأيام الأول).
- محمد صبيح، القدس ومعاركنا الكبرى، ط2، القاهرة، دار التعاون، 1998، ص 157-158.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- المسيري. عبد الوهاب، اليهود واليهودية والصهيونية، م4، ج1، الباب الأول، مدخل: الهيكل الأول والهيكل الثاني..
- مصطفى، عادل سيد، اليبوسيون في القدس القديمة.
- مقال "الحق العربي في القدس"، د. سعيد محمد أبو صافي، المنعقدة بكلية الحقوق، جامعة القاهرة، 1998/5/20أبحاث ندوة "القدس في العقيدة الإسلامية والتاريخ العربي"، التي نظمها المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، جامعة الأزهر، 1996/6/29.

الفهرس

تمهيد 2
المبحث الأول: القدس في عقيدة المسلمين 3
المطلب الأول: القدس في القرآن الكريم 4
المطلب الأول: القدس في السنة النبوية 4
المبحث الثاني: القدس عبر التاريخ 6
المطلب الأول: لمحة تاريخية 6
المطلب الثاني: أسماء القدس وسكانها الأصليون 6
المطلب الثالث: اليهود والقدس 8
المبحث الثالث: القدس في ظل الاحتلال الإسرائيلي 12
المطلب الأول: ما يجري في القدس الآن 12
المطلب الثاني: استهداف المسجد الأقصى 16
المطلوب لحماية القدس والمسجد الأقصى المبارك وإنقاذهما 20
المراجع 25
فهرس المحتويات 26